

تعليمية النص الأدبي وأثرها في تدريس الترجمة

الأستاذ: رافة العربي

أستاذ مساعد قسم ب

مقدمة:

هناك شعور في الأقطار العربية عامة والجزائر خاصة، بأن الطرق المستعملة في التعليم الآن لم يعد بوسعها مواجهة متغيرات العصر، وتلبية جميع الحاجات التعليمية للمتعلمين، وأن الضرورة تحتم إعادة النظر والتدقيق في كثير من المفاهيم والطرق الخاصة بتواصلية الخطاب التعليمي. وجاء هذا الموضوع لي طرح نقطة حساسة تتعلق بموضوع تعليمية الأدب، باعتبار أن النص الأدبي حاضر في جميع الأطوار التعليمية، وأن الضعف الذي شمل مراحل التعليم ككل شمل النص الأدبي. طرائق معالجة النصوص الأدبية، وكيف نفهم النص الأدبي؟ كيف نحلله؟ وكيف نصل إلى الاهتمام بنوعية النصوص المقدمة بسبب كونها تتناسب وطموحات الطلبة التعليمية ومساراتهم الأكاديمية من خلال تحقيق مهارات الترجمة الأدبية الأمر الذي جعل المهتمين بالآثار الأدبية يقبلون على البحث في مداخل جديدة، بغية تحليل وفهم وتذوق النصوص الأدبية. ولعل من أهم الدراسات الجديدة التي تناولت النص من زوايا متعددة، ووقفت على خصائصه، بحوث البنيوية والأسلوبية والألسنية والسيمائية، بالإضافة إلى الدراسات الترجمة التي تعتبر أحد الطرق المثلى للتعامل مع

النصوص، خاصة الاستيعاب الذي يتولد لدينا عندما نقوم بعمليات مقابلة بين النصوص.

أدت التحولات في الدراسات النقدية عن طريق الترجمة والمثاقفة إلى ميلاد روح جديدة في نقد العمل الفني. ولقد استطاع الأدب أن يفيد من الانجازات العلمية في ميدان اللسانيات والانتروبولوجيا وعلم النفس والسيمياء وعلم المعنى، وأصبح يولي النص الأدبي خاصة اللغة المكونة لبنيته الأهمية الأولى مثل الجملة، والمفردات المعجمية التي تترادف حيناً وتتناقض حيناً. وزادت عناية المترجمين بوضع مناهج الترجمة بعد احترافهم مما أكسب الممارسة النقدية سواء في نظرية الترجمة أو في نظرية الأدب أهمية إضافية. ونهتهم في موضوعنا هنا بمعرفة النص الأدبي العربي خاصة عندما نكتشف أن نفس النص قد تمت كتابته بلغات آداب أخرى والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن خلال هذا الموضوع حاولنا تقسيم المادة العلمية والتنبيه إلى وجوب التمييز بين النص الأدبي، النص الأدبي المترجم. فنحن عندما نترجم لا نقول أبدا الشيء نفسه تماماً مئة بالمائة.

طرح الإشكالية :

تعتبر قضية الترجمة الأدبية من بين القضايا التي استرعت اهتمام النقاد. خاصة فيما يتعلق بالحرفية أو التصرف، الأمانة أو الخيانة، الاجترار والتكرار أم الخلق والإبداع، من اجل الوصول إلى دراسات نقدية في مقارنة النصوص الأدبية المترجمة ومن ثم تبيان خصوصياتها

وجماليات فنياتها . فالمترجم يجد نفسه في حالة تنازل مستمرة عند عدم القدرة على التعبير عن جميع مستويات النص ولعل الحفاظ على سلامة العمل الأدبي تقتضي احترام عدد معين من الثوابت، قد تكون لسانية أو غير لسانية ، دون المساس بالقضايا الكبرى كالحبكة والفكرة والموضوع ،حتى لا يضر غياب الشكل كثيرا على تكافؤ المعنى العائم. وتبقى في الأخير أي ترجمة أدبية مقترحة، عبارة عن ترجمة مفتوحة تاركة للنص أكبر عدد ممكن من الاحتمالات القرائية . ومنه تقودنا الرغبة في معرفة النص الأدبي المترجم و استخدام أدوات الترجمة إلى طرح الأسئلة التالية: كيف يصير القارئ ناقدا للترجمة التي بين يديه، ويتفاعل مع النص ؟ هل الإبداع الترجمي وليد حرية وتحليق مطلقين أم أنه وليد حالة أخرى من الجبر والالتزام بما يقوله الآخرون ويستشعرونه ؟ لمن تعطى الأولوية في تدريس الترجمة الأدبية عبر مقابلة النصوص : هل لما يريده الكاتب أم لما يفهمه من النص ؟ هل النص الأدبي الجديد بعد عملية الترجمة نص يكرر الأصل ؟ هل التوفيق في اختيار النص الأدبي يؤدي بالضرورة إلى تعليم الترجمة الأدبية بطريقة فعالة؟ كيف يشكل نقد الترجمة حلقة مهمة في العملية التواصلية في ضوء خصوصية النص الأدبي ؟ ولاستجلاء مثل هذه الإشكاليات لابد من تأمل موضوع الترجمة الأدبية/الشعرية نفسها، وملاحظة علاقات التشظي والانشطار بين النص الأصل والنص الهدف، أو بين كلمات المبدع الأول للنص/الكاتب، وكلمات مبدعه الثاني/المترجم. فكان المنهج المستعمل هنا هو المنهج الوصفي لأننا

نسعى لاكتشاف الصعوبات التي تواجه بلورة مناهج نقدية علمية في الأدب مقابل نظرية ترجمية علمية أيضا في التعامل مع النصوص التي هي قيد الدراسة .

خصوصية النص الأدبي :

ما هي الوسائل التي نستخدمها عندما نتكلم أو نوجه الكلام إلى شخص آخر ؟ إننا نستخدم ثلاثة أنواع من الوحدات هي :الكلمات أي العلامات التي توجد بالمعجم، والعبارات التي لا تتوفر على معجم خاص بها، وأخير ١ النصوص .ولقد تعددت التعريفات العربية والغربية في شرح مفهوم النص ومدلولاته. لأنه مصطلح غاية في الشعب والتعقد، ويختلف معناه بحسب المنظور والموضوع الذي يتناوله، فما هو النص؟ نسمي نصا كل خطاب ثبت بواسطة الكتابة، حسب هذا التعريف، التثبيت بواسطة الكتابة هو جانب تكويني من النص ذاته .أما في مادة (نص) في المعجم الإنجليزي، فقد ورد لفظ (Text)، وهو بالفرنسية، (Texte)، وهو لفظ مأخوذ عن اليونانية، من اللفظ (Textus)، والتي تعني (Tissue)، أو (Style of literary work)، وترتبط بـ (Textile)، والتي ترتبط بآلات وأدوات النسيج. و لقد ربط العرب بين نسيج الثوب ونسيج الشعر وبين الشعر والنسيج والتصوير، فكلها تحتاج إلى تناسق وتداخل وتفرد ويكون الهدف منه الإبداع والوصول إلى غاية الصناعة، فالنص: " نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى

ذلك سبيلاً، يشاطر النص الأثر الأدبي هالته الروحية، وهو مرتبط تشكياً بالكتابة، ربما لأن رسم الحروف ولو أنه يبقى تخطيطاً فهو إحياء بالكلام وبتشابك الحروف، والنص هو الذي يوجد الضمان للشيء المكتوب، جامعاً وظائف صيانتها: والاستقرار، استمرار التسجيل الرامي إلى تصحيح ضعف الذاكرة، وعدم دقتها هذا من جانب، ومن جانب آخر شرعية الحرف الذي هو أثر يتعذر الاعتراض عليه... فالنص سلاح في وجه الزمان والنسيان، وفي وجه براءات القول الذي يستدرك، ويخلط ويتنكر بسهولة تامة، فمفهوم النص إذاً مرتبط تاريخياً بعالم بأكمله حيث يمكن النظم: في القانون، والدين، والأدب، والتعليم. " (1)

تتمثل الخصوصية التي تمتاز بها الترجمة الأدبية في أهمية النص الأدبي من الناحية الجمالية و الذي غالباً ما يكون مليئاً بالصور و الأساليب البلاغية ، إضافة إلى أنه نص يحتمل عدة قراءات لتعدد معانيه، لذا فلا يصح للترجمة أن تنزع عن النص الأدبي صفته الأدبية فيتحوّل إلى كلام عادي، بل على المترجم أن يكون انتقائياً في النقل ليحافظ على جمالية النص و فنياته. لذلك تكمن صعوبة ترجمة النص الأدبي في تميزه ببعض الخصائص التي لا يمكن إيجادها في باقي النصوص، فهو ليس مجرد أفكار و حسب بل هو جملة من أحاسيس الأديب و عواطفه و خيالاته، يعبر عن رؤية الكاتب الخاصة للعالم المحيط به. يتبين لنا أن "النص الأدبي هو نص له هويته كما لكل شيء هويته. فالأدب العربي حافظ لروحه دائماً على الرغم من تجدد

منايع إلهامه ،وتغير مظاهر أثوابه . ومن ينظر إليه بعين جديدة يبصره دائماً جديداً. " (2) كما تؤدي اللغة المستعملة في النص دوراً مهماً في عملية الفهم والتلقي فاللغة - أية لغة - ليست مجرد ضوضاء أو أصوات تنتشر في الهواء وإنما هي قوالب من الكلم، تحمل في طياتها وتنظم في أحشائها ثقافات أهلها وأفكارهم وتنبت عن أنماط سلوكهم، ومن هنا كان تعليم اللغات عبر ترجمة النصوص أمراً خطيراً" (3) ، ولهذا نجد النص الأدبي من أكثر "المجريات الثقافية تعقداً وتتضاعف فيه المشقة اللازمة لتحليله وفهمه. "فقد يكون أدبياً أو قانونياً أو تاريخياً أو دينياً ،وبالرغم من هذا التعدد فإن هناك قضية مشتركة تجمع بين هذه الأنواع كلها وهي قضية قراءة النص" (4)

يشير مصطفى السعدني في كتابه "المدخل اللغوي في نقد الشعر" على أن النص أقوال أو كلمات مكتوبة، وهذا هو المتن وسلسلة بشرية نقلت تلك الأقوال، أو حررت تلك الكتابات وكل ما عدا القرآن والسنة، قطعي الوجود عن أصحابها، وظني الدلالة في الأغلب الأعم. و في كل نص: عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء، وهي طرق لفض ظاهر النص للوصول إلى فحواه، ويظهر أن معنى أي نص ليس سوى معان متعددة، منها ما يجيء من العبارة، ومنه ما يكون من الإشارة، ومنه من الدلالة، ومنه ما يكون من الاقتضاء، وكل هذه المعاني تكون من مدلولات النص دليلاً وحجة على كل معنى منها" (5)

وقد ينظر إلى النص من زاوية أخرى هي الأدبية وغير الأدبية، وكذلك من حيث علاقة النص بمؤلفه، وعلاقته بقارئه، ومن زاوية شكل

النص، قرائي أم كتابي. ونجم عن هذا كله نظريات في استقبال النص، لا في إرساله، حيث يقوم القارئ وينهض ليعطي النص حقه من الدلالة التي قصدها كاتب النص، قدر الطاقة، القارئ هنا مطلوب منه أن يفسر النص وينتج إلى جانبه نصاً جديداً فيما يسمى بإنتاج الدلالة، أو النصوص الموازية، وهنا لابد من قارئ حصيد جاد بينه وبين النص علاقة حب وطيدة وعميقة. ويمكن النظر للنص المكتوب على أنه ثلاثة أنواع هي: النصوص الأدبية، النصوص غير الأدبية، ثم النصوص المتداخلة. إلى جانب هذه الأنواع هناك أيضاً تعدد المعاني التي تتميز بها النصوص وهي أيضاً ثلاثة: المعاني المنطقية (الإلزامية)، المعاني البينانية (الممتدة)، المعاني البديعية. وتتوزع في النصوص غير الأدبية وتتضاءل قيم المعاني البديعية والبينانية، وتكون هذه الأخيرة في أقصى قمتها في النصوص الأدبية، في حين تقل المعاني المنطقية، أما في النصوص المتداخلة المزيج بين هذه وتلك، فتعتمد توزيع المعاني على واقع تلك النصوص وظروفها، فالنص إذن بتنوعه وتنوع معانيه في حركة دائمة من الانتقالات أو تبادل مواقع دائمة بين المعاني بأنواعها الثلاثة في داخل سياق النص وصولاً إلى المعنى الشامل الكلي. و تبقى القراءة بمثابة عملية تواصل واتصال بين القارئ والنص (الكاتب) يتبادل الطرفان فيها المعرفة والمعلومات، فالكاتب يوفر للقارئ الكلمات والجمل والفقرات التي تعبر عن مضمون الموضوع الذي يطرقه متأثراً في ذلك بخبراته وتجاربه الشخصية، ليترك من ذلك كله بصماته مع القارئ وتأثيره عليه متأثراً كل منهما بمعرفته اللغوية

واتجاهاته الفردية وأفكاره الخاصة، ويتحمل كل منهما وإلى حد ما المسؤولية في تحديد المعاني فيشكلا معاً أو يوجهان نوع الأفكار التي تدل عليها الكلمات وتوحي بها.

إن فهم النص الأدبي شعرياً كان أم نثرياً يتحدد في مستويين: المستوى السطحي الظاهر، والمستوى العميق الباطن. وهما مستويان يختلفان من حيث السهولة والصعوبة، والمستوى السطحي أكثر المستويين وضوحاً. وعلى الدارس أن يستخلص الدلالة من النص بعد معاشته والاستغراق فيه عن طريق سلوك محدد يتسم بالفضولية وحب الاستطلاع والبحث والشغف بالتساؤل. والدارس عبارة عن مستكشف يتبع سلوك الاستكشاف الذي يرمي إلى تحقيق نوعين من المعرفة هما: المعرفة الذهنية، والمعرفة الحدسية، اللتان يجعلان من السلوك الاستكشافي اتجاهين متكاملين: أولهما تحليلي جزئي والآخر تركيبى، وكلاهما ضروري في عملية تذوق النص وفك ما فيه من غموض وتعقيد. وهنا نطرح السؤال التالي :

ما الذي ننتظره من النص الأدبي المقترح للترجمة ؟

يمكن أن يختار الأستاذ النص الأدبي وفقاً لما يخدم أهداف الحصة ونظراته للأمور، فبالنسبة للأساتذة الذين يدرسون الترجمة في أقسام الترجمة فيجب أن يولوا لطول النصوص وقصرها أهمية كبرى لأنهم لا يكثرثون لضجر الطلبة، لأن ما يهمهم هو واقع مهنة الترجمة الذي يفرض في الغالب ترجمة نصوص طويلة. أما الذين يدرسون في

أقسام أخرى مثل قسم الأدب أو الرياضة والعلوم البدنية أو الفلسفة أو الحقوق والدراسات القانونية وغيرها، فهم مطالبون بتقديم نوعية نصوص تتلاءم وطبيعة المواد المدروسة والمستقبل المهني في هذه التخصصات. كما يجب تعويد الطلبة على الترجمة عوضاً عن ترجمة أنواع لن يتعرضوا لها أبداً. و يسعى بعض الأساتذة إلى استعمال نصوص تتمحور حول قضايا راهنة مثل الصراع في فلسطين، كاس العالم، الربيع العربي أزمة الطاقة، الاحتباس الحراري بلغات أخرى بغية الإمتاع والتعلم على حد سواء.

الفعل الكلامي:

إن اللغة حسب جوهرها ليست نظام علامات فحسب بل إنها قبل ذلك نظام تواصل، إذ لا يشترط الكلام بلغته وفهمه معرفة بنظام علامات وفقط بل يشترطان بناء على ذلك تمكنا من استخدام العلامات اللغوية. ويعد أوستين Austin المؤسس الأول لما يسمى نظرية أفعال الكلام، حين عمد إلى توجيه الفلسفة إلى دراسة اللغة بوصفها الوسيلة المثلى لوصف العالم. وبذلك صار يسيرا لديه أن يحكم على كل الجمل ماعدا الجمل الطلبية (الاستفهام، الأمر، التعجب) بكونها صادقة أو كاذبة، وفق مطابقتها لمحك وصف العالم، أما حين لا تقوى على ذلك الفعل فهي كاذبة. وطبيعي أن تستثنى الجمل الطلبية من تلك القاعدة، لأنها لا تصف بل تسعى لإحداث تغيير ما، وسيصبح مقياسها مغايراً، إذ تقرر بالتوفيق أو الإخفاق. غير

أن ذلك التمييز لا يقوم على ضبط دقيق، فكثيرا ما توصف بعض الجمل بالطلبية دون أن تتوفر على الخصائص التي تميزها عن الجمل الوصفية (تصف العالم فحسب) كأن لا تكون مسندة إلى ضمير المتكلم. استحدث أوستين تمييزا جديدا يراعي تلك الاستثناءات، وينسجم مع مقولة، إن كل ملفوظ يقابل بإنجاز عمل لغوي. وبذلك تسنى له وضع تصنيف ثلاثي:

Acte locutoire تقابلها: فعل كلام، فعل قول، فعل لغة، عمل كلام..

Acte illocutoire: فعل متضمن في الكلام، فعل تمريري،

Acte perlocutoire، عمل تأثيري بالقول، تأثيري بالكلام، أفعال تأثيرية.

وبعد الفعل القولي أي فعل الكلام المحض اسم المحتوى المادي لمنطوق ما. أما الفعل الانجازي أي قوة فعل الكلام فيعني المعنى القصدي لمنطوق ما، ويمكن للمنطوقات اللغوية أن تكون متعددة الوظائف أي يمكن أن تنجز بالفعل القولي نفسه أفعال انجازية مختلفة كثيرة، وهكذا يمكن مثلا لجملة: هل يمكنك ألا تفتح النافذة ؟ وهي جملة استفهام أن تعني استفهما أو رجاء أو طلبا أو استغرابا من المتكلم. (6)

نقد ترجمات النصوص الأدبية :

هل تساهم الترجمة في عملية التواصل و بالتالي تيسير عملية النقد الأدبي؟ "تعتبر الترجمة الشعرية كتابة شعرية. فلا يترجم الشعر إلا شاعر. ترجمة مسرحية ما مثلا تأتي نتيجة لعملية ليست السنية وإنما

درامية . والدبلجة السينماتوغرافية هي عمل يندرج ضمن إطار الحوارية ،لان إيجاد المكافئات يقتضي احترام حركة شفاه الممثلين ،نبرة أصواتهم، إيماءاتهم،الموسيقى،الوضعية التي تفرضها الصورة المعينة. وحتى ردات الفعل الاجتماعية الخاصة بمجموعة ما (7)

تأويل النصوص والترجمة:

يعتبر التأويل جزء مهما من اجل الوصول إلى أفضل فهم ممكن للنص ولخلفياته القصصية، وإذا كان التأويل وثيق الصلة بعملية الفهم فان الترجمة تجعل النص ينتقل من مرحلة الفهم إلى مستويات الإفهام، وهو ما يضاعف من صعوبة التعامل مع النص المترجم لأنه يتطلع إلى الانتقال بمستوى الفهم في اللغة الأصلية إلى مستوى الإفهام في اللغة المستقبلية.

لاشك أن علاقة التأويل بالترجمة علاقة تقع على تخوم التماس ما بين نظرية التأويل والهرمينوطيقا ونظرية الترجمة التي تستعير جزءا كبيرا من مناهجها ومفاهيمها الإجرائية من النظريات اللغوية ومما يسمى بالدرس المعرفي للسانيات. غير ان التأويل الذي نمارسه داخل اللغة لا يمكن أن يحدث الأثر نفسه عندما نقوم باستبدال نظام اللسان الأصلي بنظام آخر. كما هو الحال بالنسبة للترجمة ،فهناك صلة وثيقة تربط بين اللغة والأمة أو اللغات والشعوب وفق الأطروحة التي دافع عنها هومبولت والتي أكد من خلالها على أن اللغة الأم تمارس تأثيرا حاسما على طرائق وأساليب التفكير لدى شعب من الشعوب،ومن الصعوبة بمكان أن نتصور بلورة وعي فكري خاص بأمة ما بالاعتماد على لغة أخرى مختلفة عن اللغة الأصلية.

تتضارب الآراء حول أي اتجاه يجب أن نختار أثناء العملية الترجمة
 لأننا نتفاوض دائما بخصوص المدلولات التي يجب أن نمناها للعبارات التي
 نستعملها. لأن المترجم يجد نفسه في حالة تنازل مستمرة عند عدم القدرة على
 التعبير عن جميع مستويات النص. فنحن عندما نترجم لا نقول أبدا الشيء
 نفسه تماما مئة بالمائة. فهذه الخسارات التي تنجم عن عدم أمانة في الترجمة
 قد تعرض النص الأدبي إلى نقد لا يستحقه. بما أن العمل يصب في مجال
 إعادة صياغة أو كتابة إبداعية موازية. فالعمل الجيد يجب أن يسعى لأن ينقل
 المؤثر نفسه الذي يرمي إليه النص الأصلي. هذا يعني أن المترجم يقوم بفرضية
 تأويلية. ويمكن القول أنه سواء تعلق الأمر بالترجمة أو بالتأويل، فإننا نسعى في
 الغالب إلى مقارنة النصوص في جوانبها الماثلة أمامنا، وليست لنا قناعة راسخة
 بأننا نملك القدرة الكافية على الإحاطة بمختلف معانيها وصولا إلى استنفاد
 كل شحناتها الإيحائية والدلالية. (8) كما يوجد تحت عنوان إعادة الصياغة
 تنوع كبير في أنواع التأويل. وهنا نطرح السؤال التالي: هل الترجمة نوع من
 جنس التأويل؟ فعالم التأويل أوسع من عالم الترجمة بحصر المعنى. الترجمة
 من لغة إلى لغة هي المثال الأكثر جلاء عن محاولة قول الشيء نفسه بواسطة
 أنظمة علامات مختلفة. والجهد التأويلي لا ينحصر فقط في الترجمة وإنما في
 كل محاولة لتوضيح مدلول عبارة ما. (9)

نقد الترجمة عند أنطوان بيرمان:

يؤكد بيرمان Antoine Berman على دور الهرمونيكا الحديثة المطور
 من طرف بول ريكور المنبئية على التأويل من خلال المزوجة بين

النسق الفني والنظرية الشعرية والنشاط القراءاتي. حيث يجب معرفة ملامح النص الأصل وتمثل ثقافته معولا على عنصر القراءة (النص الأصلي والنص الهدف) من اجل تذوق الترجمة. لان النص المترجم يصبح فيما بعد نصا قائما بذاته وليس شبه نص. (10) ولعل أهمية طرح بيرمان تكمن في الإجراءات المتخذة بغية ترجمة النصوص وليس نقد الترجمات بالحكم على الجودة أو الركاقة (11). وبما أن القراءة عنصر مهم من عناصر نقد الترجمة فان دور فعل التلقي يفصح عن أشكال الترابط بين أنسجة النص. من خلال الانتباه إلى كل ماهو دخیل وغير دخیل في عملية قراءة الترجمة. وبالتالي معاينة مدى الاتساق الموجود داخل النص. ودرجة الاستواء اللغوي في كلتا اللغتين. وبالتالي استواء الترجمة انطلاقا من أن الفعل الترجمي يعد شكلا من أشكال النقد والقراءة. لان الناقد والمترجم كلاهما ينطلق من نص اصلي واحد ومايصاحب ذلك النص من معلومات. واحد ركائز طريقة بيرمان هي مقابلة النصوص بعضها ببعض.

النص الأول للشاعر العربي جرير مترجم إلى اللغة الفرنسية :

لولا الحياء لهاجني استعبار
ولزرتُ قَبْرَكَ والحبيبُ يُزَارُ

والذي ترجمه رينيه خوام (Rene Khawam) «في كتابه La Poésie Arabe» بما يأتي:

1- Sans la honte, les pleurs m'auraient souvent rendu Visite,

Et je me serais porté vers cette tombe ou tu gis,
Car l'être qu'on aime est toujours en notre souvenir,
Et notre plus grand bonheur est de le revoir un jour,

2- N'étais la pudeur, j'aurais verser des larmes

Et j'aurais rendu visite a la tombe car,

a la bien aimé on doit rendre visite

يقصد الكاتب انه لولا خوفه من كلام الناس فضلا عن صفة
الحياء الملازمة له. لبكى على الفقد مرة أخرى. أي أن بعضهم لا ينسى
مهما تقادم الزمن. وواضح جداً ما استجلبته ترجمة هذا البيت ذي
المعاني الموجزة والمركزة من إضافات كثيرة أفقدته سمة الشعرية
والتأثير. خاصة في الحشو الذي نجده في السطرين الأخيرين. وفي
الترجمة التالية التي لم نعثر على صاحبها نلاحظ بساطة أكثر في
التعبير. "والمعروف - لدى ترجمة الشعر العربي إلى لغات أخرى -
أنه كلما كان الشاعر معاصراً كان شعره أقل تمناً عن الترجمة، وأقدر
على الاحتفاظ بنصارتة «لكثرة ما أخذ يتوافر فيه من صور وأساليب
مشتركة بينه وبين شعر اللغات الأوروبية «ترجمة الشعر العربي القديم
إلى لغات أخرى لن تكون سهلة أبداً ومتأتية، مهما كانت براعة
المترجم، ومهما كان إتقانه للغة العربية وللغة الأخرى التي سينقل إليها،
ومهما كانت الشحنات الإنسانية التي قد يمتلئ بها النص المترجم
والتي من شأنها تيسير فهمه، وتلقيه." (12) مثال ذلك بيت جرير

الذي قاله في رثاء زوجته، والذي كان فائضاً بكثير من الحملات الإنسانية الدافقة.

من خلال هذه الأمثلة ، يتضح جانب مهم جداً من جوانب عملية السعي نحو خلق سياقي جديد في الأدب، هو الجانب الذي يقف فيه المبدع أمام أفكاره الخصبة من جهة، وأمام رصيد لغوي ممتد من جهة ثانية، وما يفرضه من ضرورة الانتقاء والتخيّر، فهو مجبر على التطلع دوماً إلى الأفضل وعليه يمكن القول إنّ الترجمة الشعرية من أصعب المغامرات الكتابية، التي يمكن أن تعترض صاحبها، وهذا لما مرّ ذكره من اختلاف عبقریات الألسن، وامتياز كل لغة عن الأخرى بخصائص وبصمات خاصة بها وحدها. فالمبدع الأول للنص يقف أمام رصيد لغوي ممتد، وله أن يغترف منه ما يشاء، أما المترجم، فيقف أمام رصيد لغوي ضيق، واحتمالات محدودة، وهذا النوع من النصوص المتمنعة على الترجمة نجده في كثير من نصوصنا العربية القديمة، التي تعلو فيها سمة التكثيف اللفظي، والتركيز الشديد على طاقات الكلمات، وحمولاتها الشكلية التي من الصعب جداً تحويلها إلى حمولات شكلية أخرى، تنصبّ في صميم لغة أخرى مختلفة عن اللغة الأصلية الأولى.

النص الثاني للجاحظ مقتطف من كتابه البخلاء

يقول المترجم عبد الرحمن كيليطو Le livre des avarès	يقول الجاحظ في البخلاء
Que j'approuve cette sentence celui qui est dans le besoin est accommodant et celui qui réclame son du n'est pas regardant! comme on faisait observer à Risimus (Zosime) qu'il mangeait au marché il répondait :Si Zosime a faim au marché , il mange au marché. On a dit : dans la disette, on va loin pour chercher sa nourriture .Quand on a faim, on est humble. Attention à la fuite de la richesse car elle est pareille à une femme farouche, tout fugitif ne rentre pas au bercail, et il est parfois impossible de ramener tout les chameaux dispersés.	وقد صدق قول القائل من احتاج اغتفر، ومن اقتضى تجوز. وقيل لديسيموس: تأكل في السوق؟ قال: إن جاع ريسيموس في السوق، أكل في السوق. وقال: من أجذب انتجع، ومن جاع جشع. وقال: احذروا نفار النعمة، فإنها نوار؛ وليس كل شارد بمردود، ولا كل ناد بمصروف

يقول الجاحظ : " ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمي إلى الحاذق بلسان العربية، ثم كان العربي مقصرا عن مقدار بلاغة اليوناني ، لم يجد المعنى والناقل التقصير ، ولم يجد اليوناني الذي لم يرض

بمقدار بلاغته في لسان العربية بدا من الاغتفار والتجاوز ، ثم يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ، وذلك أن نسخته لا يعدمها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة من يزيده من الخطأ الذي يجده في النسخة . ثم لا ينقص منه ؛ ثم يعارض بذلك من يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، إذا كان ليس من طاقته إصلاح السقط الذي لا يجده في نسخته " . (13)

نلاحظ تباينا بين النصين وكان النص المترجم عبارة عن شرح وصف وتحليل لما جاء في كتاب البخلاء للجاحظ. ولا يمكننا أن ننكر ما للترجمة من دور في تيسير عملية القراءة . خاصة في تسمية بعض المسميات "ديسموس" باللغة الفرنسية مثلا . وشرح بعض الظواهر. والعادات الخاصة بفئة اجتماعية معينة ومقابلها في اللغة الفرنسية. كصعوبة إرجاع الإبل بعد نفورها وتشردها . التحذير من زوال النعمة بسبب التبذير. وارتأى المترجم إبدال كلمة النعمة باللغة العربية إلى الشروة في اللغة الفرنسية. في معجم المعاني كلمة نوار تعني المرأة التي تخاف الرجال ويقابلها في الفرنسية الحيوان الذي لا يمكن ترويضه. أو الشخص غليظ الطبع الذي ينفر من الناس.

ميول المتلقي ورغباته وخصائصه:

إن مواقف الطلبة السلبية تجاه الأدب عامة والنصوص الأدبية خاصة، مرده أساساً إلى عدم رغبة الطالب في دراسة هذا التخصص والانتماء إليه، فنجدته يعاني صراعاً داخلياً بين ما يتوق فعلاً لدراسته

والتخصص فيه، وبين واقع دراسته. لذا نجدد دائم النفور من مادة النصوص الأدبية التي ينظر إليها في بعض الأحيان نظرة ازدراء واحتقار، فيراها مبعثاً للملل والسأم، مما يؤدي ليس إلى اللاتفاعل بين المتعلم وبين ما يدرسه من نصوص فحسب، بل إلى الفشل في حياته الدراسية ككل. ويتفرع عن ذلك عامل آخر وهو انقطاع الصلة بين المكتبة والجامعة، وعدم التنسيق بينهما بشكل مستمر هادف، من شأنه أن يفجر طاقات الطالب، ويضعه على الطريق الصحيح الذي يجمع بين العلم والمتعة والتذوق في تحصيله.

خصائص القارئ:

إن قراءة النص وفهمه وتذوقه مرتبط بالدرجة الأولى بالقارئ، وأهم الخصائص التي يتمتع بها، والتي تخول له قراءة النص وفهمه وتحليله، وهي الخصائص نفسها التي تميزه عن قارئ آخر. "ولا تعني القراءة هنا المعنى الشائع لها الوارد في مناهج التعليم والكتب المدرسية؛ أي إصدار الأصوات طبقاً لمخارج الحروف، ولكن القراءة هنا تعني الفهم، والنص هو موضوع الفهم. وقراءة النص بمعنى فهمه تتضمن تفسيره وتأويله، فإذا استعصى الفهم المباشر ألحت الحاجة إلى الفهم اعتماداً على منطق اللغة أو توجه النص (السياق)، أو ضرورة الموقف، أو روح العصر، فإذا ما اصطدم التفسير بمنطق اللغة وقوي توجيه النص وفرضت ضرورة الموقف نفسها وعمت روح العصر ظهرت الحاجة إلى التأويل باعتباره إخراجاً للفظ من معناه "الحقيقي"

إلى معنى "مجازي" أما الشرح فإنه يتضمن كل ذلك: الفهم، التفسير، والتأويل وهذا يتطلب إمكانات وخصائص معينة وسمات ذاتية معينة يتميز بها القارئ وتسهم إلى حد كبير في نجاح عملية القراءة أو رداؤها.

اختيار النصوص لتدريس الترجمة:

يكاد النص يعتبر الوسيلة الوحيدة المتوفرة لدى الأستاذ لتجسيد التقنيات واشتقاق التمارين قصد تدريس الترجمة بالجامعة ، ولما كان النص بهذا القدر من الأهمية ارتأيت أن أتطرق إلى معايير اختياره من طرف الأستاذ ومعرفة ما يجعل هذا الأخير يختار نصا بعينه ويعتبره مناسباً لتدريس الترجمة.

تبدو عملية اختيار النصوص أمراً بسيطاً وسهلاً، إلا أن الأمر غير ذلك في الحقيقة. فإذا كانت هذه العملية لا تتم بطريقة عشوائية ولا تفقر للموضوعية، فهذا يعني أنها تتم حتماً وفق معايير أو قواعد معينة.

إن اختيار النصوص لتدريس الترجمة لا يعتبر أمراً يسيراً " كونه يعتمد على عدد من المعايير التي قد تستعمل بأكملها من طرف بعض الأساتذة، في حين يستعمل البعض عدداً منها فقط وفي ذلك تقول سانشيت تريغو 1995 : من البديهي أن إعداد مختارات نصية ذات أهمية تعليمية مهمة صعبة وثمررة بحث طويل، كما تمثل عملاً لا ينتهي، لأن النصوص أيضاً تهرم أو تفقد أهميتها. من الصعب إيجاد

نصوص ذات أهمية بناء على كل المعايير المذكورة. فعلى العموم لا يحدث ذلك إلا في تلك التي تم تحضيرها خصيصاً. وربما يستلزم ذلك بالتالي هيمنة أحد المعايير على المعايير الأخرى أو أن يتعلق الأمر بنص يكون ذا أهمية فقط بالنسبة لأحدها. (14)"

لإعداد أي برنامج للترجمة، يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عاملان أساسيان يحددان محتوى برنامج المواد، أي الساعات المخصصة لتعليم الترجمة ومستوى معارف التلاميذ في اللغة ١، وفي اللغة ب بشكل أساسي. في الحقيقة لا يمكن خلال المائة وثمانين 180 ساعة التي تخصص في منهج الدروس بجامعة لقياس الترجمة العامة تقديم أمثلة عن كل أنماط النصوص التي يمكن التعرض لها خلال الحياة المهنية. فهناك من الأساتذة من لا يهتم الوقت المخصص للحصة، لأن المهم هو دراسة النص وتحليله والاستفادة منه من جميع الجوانب عن طريق ترجمته بشكل متأن، دون الاكتراث للوقت ويجب التركيز على نصوص لا تكون طويلة لتفادي الضجر، ويمكن الاستفادة من النص قيد الدراسة باستيعاب تقنيات الترجمة، ويجب على الأستاذ أن يختار النص المناسب وفقاً لمعايير الوقت المخصص للحصة.

الأهداف من تدريس مادة الترجمة:

لا ينبغي استعمال النصوص لتدريس الترجمة بشكل عشوائي أو فوضوي، بل ينبغي استعمالها وفقاً للأهداف التي يحددها الأستاذ في

بداية التكوين، والتي يتم وفقها اختيار هذه النصوص لتقديمها للطلاب. مع تمكين الطالب من اكتساب الكفاءة الترجمية ، عن طريق تحسين المعارف اللسانية والمعارف غير اللغوية والمهارات المتعلقة بفهم النصوص.

أنماط النصوص:

يجب تعريض الطلبة لنوعية نصوص تتلاءم وتخصصاتهم الجامعية حتى يمكنهم تكوين رصيد معرفي في مساراتهم ، ولكن بتجريب التعليم عبر لغات أخرى. تكمن أهمية تعريف الطالب على نمط النص الذي هو بصدد ترجمته إلى إمكانية المساعدة على الفهم والتعريف بنوعية هذه النصوص لكي يتعود الطالب عليها. مثلاً في نصوص من نمط إخباري يجب التركيز على تبليغ المضمون مثلاً، وفي نصوص ذات بعد تعبري ما يهم هو التنظيم الفني ومعرفة التقاليد الأدبية في اللغات والثقافات المختلفة والهدف هو تحقيق الاتصال والتعليم على اتخاذ قرارات في كيفية التعامل مع إجراءات الترجمة. يجب أن تكون للطالب نظرة عن نوعية النصوص. ولا يمكن إنكار دور التكرار في ترسيخ المعارف الأكاديمية وبذلك تصبح الترجمة أداة تعليمية فعالة.

التدرج في الصعوبة:

لقد أدرك ابن خلدون أن اللغة كامنة في المجتمع ، أي أنها "نتاج احتكاك أفراد المجتمعات فيما بينهم خاصة في حالة تداخل نظامين لغويين أو أكثر، مما يؤدي إلى إنتاج حركية في التأثير والتأثر بين اللغة

العربية والأعجمية. ولقد قسم ابن خلدون مراحل التعليم إلى مرحلة التلقين عبر مناسبة المواد المدروسة بعضها بعضاً ، ومحاكاة أو تقليد الأساتذة عبر الاستفادة من تجاربهم. و من ثم التكرار والتدرج". (15) ويشير بيرلين Berlyne ولينداور Lindawre إلى أن " النصوص المتوسطة بين التعقد والسهولة تستثير لدى متلقيها تذوقاً أكثر من تلك النصوص بالغة التعقد أو مفرطة السهولة". (16) و قد يرتكب الطلبة خلال مرحلة التعليم العديد من الأخطاء، ومن الواضح أن معرفة هذه المشاكل والصعوبات سيمكن الأستاذ من اختيار النصوص التي سيعمل عليها من أجل أن يساعد الطالب على التفطن لأخطائه فيصححها ويعرف مواطن الضعف لديه أيضاً. غير أن الاستعمال العشوائي للنصوص لن يعود بالفائدة على الطالب والأستاذ معاً. حيث يجب التمييز أولاً بين سهولة الفهم و سهولة الترجمة. كما ينبغي التمييز بين صعوبة الفهم و صعوبة الترجمة. فهذا الأمر لا بد منه في التعليم أي التطرق إلى النصوص السهلة ثم تدريجياً يمر الأستاذ إلى نصوص صعبة، ويجب تفادي الشيط من عزيمة الطالب خاصة إذا لم يكن لديه دراية باللغات الأجنبية مثل الفرنسية أو الانجليزية لأننا نعلم أن الطلبة الذين ليست اللغات توجههم الدراسي المحوري قد يجدون صعوبة في تلقي درس الترجمة مبدياً. من هذا يتبين لنا أن مستوى تعقد أسلوب النصوص يلعب دوراً كبيراً في عملية التذوق، فالنصوص السهلة حسب هذه الدراسة تحول دون المعاشة ودون بذل الطاقة في سبر غور هذه النصوص، فما جاء سهلاً قد ينسى بسهولة ، ولا

ينتج عنه مهارة، في حين أن إعمال المهارة وسبر غور النص مهمان في التذوق، ويساعد على هذا النص الذي يتسم بالتعقد إلى جانب المتوسط الأسلوب، إلا أن التعقد الزائد عن الحد قد ينقلب بالتذوق إلى نقيضه من التمرد على النص وكرهه والجفوة بينه وبين متلقيه، وهذا ما جعل النصوص المعقدة في الرتبة الثانية بعد متوسطة الأسلوب ويبدو هنا جلياً أن خير الأمور دائماً أوسطها.

استراتيجيات تلقي النص:

ينطلق نموذج المعالجة الاستراتيجية للنص الذي طوره بشكل خاص فاندريك وكينتش من الراي القائل ان فهم النص لا يمكن ان يدرس ويوضح من خلال نماذج تعتمد المستويات البنائية الاعتيادية ، بل من خلال نماذج تعتمد التعقيد الموافق لتعقيد القضية . هذا النموذج يعد اصلا نموذجا وظيفيا واجرائيا ويظهر نقاط اشتراك كثيرة مع نظرية الممارسة في علم النفس التاريخي الثقافي لدى ليونتييف وفيجوتسكي، وقد تبنى كل من فاندريك وكينتش الراي القائل انه عند فهم النص توظف المعارف استراتيجيا ، فمفسر النص يبني تصورا ذهنيا عبر النص. أي انه "بتطبيقه لاستراتيجيات مختلفة يدخل النظام الى المعلومات المأخوذة من النص ويملؤها بالعلم الموجود من قبل . وعند بناء التمثيل الذهني في النص لا ينتظر المفسر الى نهاية النص، بل يبدأ به منذ الكلمة الاولى في بناء القول ويعدل بعد ذلك خطوة بخطوة بناء على التفسير". (17) من هذا وجب على أساتذة الآداب

أن يعتمدوا في تدريسهم على أساليب التنقيب والموازنات، والمقارنات اللازمة بين النصوص الأدبية في لغاتها المختلفة لتنمية مهارات التذوق وترقية مستوياته لدى الطلبة، وإن الدرس الأدبي لن يثمر ولن يحقق هذا المستوى إلا بوجود الأستاذ الذي يوجه الطالب إلى كيفية سبر أغوار النص لغة وتجارب شعورية، مما يؤدي إلى تنمية أساليب التعامل مع النصوص الأدبية وتذوقها.

التقويم:

يقوم الأستاذ باختيار النص الأنسب لما يريد تقويمه، ويكون التقويم تبعاً لما يقدم من مادة قبل خلال أو بعد حصة الترجمة. ويجب متابعة الطلبة واحداً واحداً، والحرص على تحسين مستواهم من خلال الموازنة بين نظرية الترجمة وتطبيقات الترجمة. يتفق أغلبية الأساتذة في كون التقويم يجب أن يتمحور حول ما تم تدريسه، إلا أنهم يختلفون فيما يخص عناصر التقويم، فمنهم من يعمد إلى تقويم مدى تمكن الطالب من اللغة أو مدى فهمه للنص الأصلي، ومنهم من يعمد إلى تقويم مهارته الترجمة. ويسمح التقويم بمعرفة مهارات الطالب ومدى نجاح العملية التواصلية.

خاتمة:

نفهم من خلال ما سبق أن مناهج الترجمة والنظرية الأدبية أو النقد الأدبي مازالت تتحسس طريقها في تدريس الترجمة في العالم العربي، وإن النص ليس معزولاً عن ما هو خارج عليه. وتبقى أي

نظرية في الترجمة تواجه المشكلة الفلسفية المتكررة دائما وهي: قضية الشيء نفسه أو الشيء الآخر، فالنص الهدف ليس مثل النص الأصل وليس كذلك نصا آخر تماما. فمن قبل كان ينظر إلى الترجمة على أنها مكافئ : واحد مقابل واحد، لكن مع قدوم نظرية الأنظمة المتعددة The Polysystem theory أصبحت الأولوية تعطى إلى المواثيق والأعراف الاجتماعية في الثقافة المستقبلية (النظام الهدف) التي أصبحت تحكم افتراضات المترجم الاستيطيقية وخياراته في عملية الترجمة . يقول جون دوليل : " لم يعرف مترجمو الأدب التنظير انطلاقا من تجربتهم لقد حاولوا أن يبرروا مفهومهم الخاص لفن الترجمة بدلا من أن يسعوا بعد المراس والتمحيص إلى استخلاص افتراضات نظرية وقواعد وقوانين ذات أبعاد عامة وبذا يكون مسعاهم غير علمي". (18)

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - مندر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص130-131 بتصرف.
- 2 - توفيق الحكيم ، فن الأدب. 1925 مكتبة مصر. ص22
- 3 - كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، 1999 دار غريب، القاهرة
- 4 - حسن حنفي، قراءة النص، ص8.
- 5 - مصطفى السعدني، المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، منشأة المعارف الإسكندرية 1987، ص26/19
- 6 - زتسيلاف وارزنيك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، مؤسسة المختار، القاهرة ط 1 2003
- 7- George Mounin, Les Problèmes théoriques de la traduction, Gallimard, 1963 et « Tel » n°5, 1976.
- 8 - الحسين الزاوي، الترجمة والتأويل.

- 9- اميرتو ايكو :أن تقول الشيء نفسه تقريبا ،المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى،
نوفمبر 2012ترجمة احمد الصمعي، مراجعة نجم ابو فاضل، ص 281
- 10- Antoine Berman, Pour une critique des traductions : John Donne (Œuvre posthume), Gallimard, Bibliothèque des idées, 1995,page 67
- 11 - قادة مبروك، الترجمة الأدبية، ابن النديم للنشر، الطبعة الأولى 2013. بيروت ص 29
- 12 - بهاء بن نوار، قراءة في إشكالات الترجمة الشعرية.مجلة العربي. العدد 651 - 2/2013 - آداب.
- 13 - الجاحظ. كتاب الحيوان. الجزء الأول. صفحات 75-79. د.ت
- 14 - بن عيس صليحة، معايير اختيار النصوص لتدريس الترجمة، مجلة دراسات جزائرية، العدد 09 سنة 2013 مخبر الخطاب الأدبي وهران.
- 15 - فتيحة حداد، ابن خلدون واراؤه التعليمية واللغوية، دراسة تحليلية نقدية ،مخبر الممارسات اللغوية جامعة تيزي وزو 2011. ص194
- 16 - محمد عبد الرحيم عدس، تعليم القراءة بين المدرسة والبيت، دار الفكر، الأردن ط1998، ص294
- 17 - هانيه فولفجانج ،من مدخل إلى علم اللغة النصي، تر فالح بن شبيب العجمي، الرياض 1996
- 18- - Jean Delisle, Analyse du discours :Méthode de traduction. P36